إرشاد السائلين
إلى أجوبة المجاهدين



نائل بن غازي مصران

بيت المقدس



1440 هـ 2019 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

إرشاد السائلين
إلى أجوبة المجاهدين



أسئلة وجهها الشيخ نائل بن غازي (حفظه الله) لكل من :

- **الشيخ أبي قتادة عمر محمود (حفظه الله)**
- **والشيخ يوسف العنابي (حفظه الله)**

بيت المقدس

مقدمة الناشر

إن التعامل مع القضايا والمسائل الجهادية بسطحية نكدة كان ولا يزال ثغرة عميقة في بنيان أمتنا الإسلامية المستهدفَة، خاصة مع انتشار الأبواق المضللة والدعايات المغرضة والتحليلات المأجورة التي هدفها الأول والأخير إقصاء صوت الحركة الجهادية، خط الدفاع الأول عن هذه الأمة. وهذا ما يجعل من تبيان الحقائق وتجلية المفاهيم والإجابة عن الأسئلة الشائكة من قبل أهل العلم والجهاد ضرورة حاسمة لرد الشبهات، ولكن لن يكون ذلك دون ضمان وصول هذا الصوت لأمتنا المسلمة -كما هو- دون تحريف أو تدليس أو سوء تأويل. والحقائق حين تنطق بها الأفئدة المستوعبة لعظم الأمانة ولخطورة المرحلة ولحساسية الظرف، يمكنها أن تقدم الإجابات الوافية والمتينة لكل الأسئلة التي تتصدر مشهد الصراع اليوم، لذلك رصد لنا الشيخ الفاضل نائل بن غازي – حفظه الله- بعضًا من أهم هذه الأسئلة التي بحث الإجابات عنها بعد سبر أغوارها لدى أهل العلم والجهاد، ممن لهم الخبرة والبصيرة بشؤون الحركة الجهادية، منتخبًا الشيخ أبي قتادة عمر محمود الفلسطيني والشيخ يوسف العنابي – حفظهما الله- ليقدم لنا كل واحد منهما بطرح جذاب رزين، الإجابة عن هذه المسائل ممتشقًا أسلوبه البديع وبيانه الأنيق، وهي الإجابات التي تعكس الاتصال العميق بين الحركة الجهادية والأمة المسلمة في رحاب الإسلام العظيم.

وقد جمعنا هذه الإجابات النيّرة لتنضم إلى المكتبة الإسلامية والجهادية كدليل للسائلين وتبيان للباحثين عن الحقائق بلسان أهل العلم والجهاد. نسأل الله أن يجزي مشايخنا خير الجزاء وينفع بأجوبتهم أمة تستغيث ويجمع شمل العاملين من أبنائها في سبيل الجهاد المبين. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، إمام المجاهدين وعلى آله وصحبه ومن اتبعه واستن بسنته إلى يوم الدين.

بيت المقدس

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله – ﷺ- أما بعد:

فهذه بعض الأسئلة التي وجهناها لفضيلة الشيخ أبي قتادة الفلسطيني ولفضيلة الشيخ يوسف العنابي – حفظهما الله تعالى- والتي نستقرأ من خلالها بعض المفاهيم التي تخص مسيرة الحركة الجهادية على اعتبار كونها الوارث الأجدر لمسيرة التغيرات التي تتعاقب على الأمة الإسلامية، والتي يرجى من خلالها إحداث تغيير حقيقي تصل به الأمة مع الحركة الجهادية عبر الحالة الجهادية المرتقبة شاطئ أمانٍ تعلوا به راية التوحيد وتحكيم الشريعة ونصرة الدين وضرب الجاهلية وتحقيق حكم الله في الأرض.

وفيها تسليط الضوء على بعض القضايا التي عابها الخصوم على مسيرة الحركة الجهادية وهي منها براء.

وفيها نصح لعموم الأمة بتبصرة الجيل، وحثه على لزوم سبل التغيير الحقيقي دون الاستغراق في شواغل السبل التي أثبتت الحوادث فشلها وسقوطها وأنها لا تتعدى كونها سراب فكر، ونزق تقعيد أجوف، وجهل بسياسة قيادة الناس. ونسأله تعالى من ذلك القبول وأجر البيان والنصرة.

أخوكم المحب/ نائل بن غازي

❁ السؤال الأول: هل الحركة الجهادية حركة عابرة، جاءت نتيجة ردات فعل على الغزو العسكري لبعض بلاد المسلمين؛ وعليه فهي بلا رؤية ولا بُعد استراتيجي؛ ولا استشراف حقيقي لمستقبل ديمومتها؟

❁ الجواب الأول من فضيلة الشيخ أبي قتادة (حفظه الله):

هذا السؤال طويل البحث ومتشعب والأمر في هذا السؤال ليس متعلقًا فقط بالحركة الجهادية.

فالحركات الإسلامية دائمًا تتهم بأنها قامت كردّات فعلٍ على قضايا حادثة من غيرها.

فمثلًا كثيرٌ ممن كتب عن الإخوان المسلمين قال: بأن الحركة قامت على إثر سقوط الخلافة وانتشار العلمانية.

وكذلك لو رجعنا لنشاط الشيخ حسن البنا –رحمه الله– فهو نشاط دعوي تربوي أكثر منه سياسي.

فهم يقولون بأن الحركة قامت كردة فعل على حركة حادثة (سقوط الخلافة) فقامت الحركة لأجلها.

كذلك تجد هذا المعنى حاضرًا في حركة الشيخ محمَّد إلياس –رحمه الله– مؤسس جماعة التبليغ في كلام شيوخها من باب النظر للواقع الإسلامي بما فيه من انسلاخ عن الهوية الإسلامية في الهند ولحوقها بالهوية الهندوسية، فأنشأ الشيخ جماعة التبليغ كردة فعل على هذا الواقع الطارئ المؤلم غضبةً لله تعالى لإصلاح هذا الإنسلاخ.

وعليه فالمسألة لا تُطرح بهذه الطريقة، **فوجود ردات أفعال على حادث ما لا يعني غياب الرؤية واستشراف مستقبل الديمومة للحركات الناشئة فالإقتران غير يقيني**، فمن الممكن قيام حركات مقاتلة من أجل الغزو الحادث على بلاد المسلمين للتصدي والقتال والرد عن

بلاد المسلمين، كالذي حصل بعد الغزو الأجنبي لبلاد المسلمين ونشوء الحركات الجهادية الصادة له والدافعة له.

فلا يصح وصف هذا الفعل بكونه سلبيًا يُعيّر بها المجتهدون؛ لكن المسألة في الحركة الجهادية بأنها اختيار لحقيقة قضية معالجة الواقع.

- **لفتة دقيقة مهمة**

الواقع بعد خروج المستعمر وبقاء رجاله في المنطقة وتكوّن الدولة الوظيفية، وانتشار الفساد الاجتماعي، وتغيّر عبادات واعتقادات الناس، نشأت على ضفاف هذه المتغيرات الكثيرة المتعددة جماعات كثيرة متعددة لقصد الإصلاح، ولم يعد الأمر مقتصرًا على إفرازات لها متعلق بالغزو العسكري.

فجماعة الجهاد في مصر –مثلًا– لم تنشأ كردة فعل على غزو كما أنشأ الشيخ حسن البنا –رحمه الله– الجهاز الخاص من أجل مقاومة الإنجليز، وإنما قامت الجماعة ضد الحاكم الذي يحكم بلدًا من بلاد المسلمين مع التصاق وصف الوطنية فيه دون وصف المحتل الغازي الخارجي.

وكذلك بقية الجماعات التي أقيمت لمنابذة الجاهلية المتمثلة في الحكم القائم بالتسلط على رقاب المسلمين في بلاد المسلمين؛ وبالتالي فهي لا تعتبر ناشئة كردة فعل على غزو خارجي.

وعليه تصويبًا للمسار نقول: أنّ العالم الإسلامي عانى من قضايا متعددة بعد سقوط مظاهر العلم والتدين بسقوط الخلافة؛ فتشتت الأمة وانتشر فيها ما انتشر، وتحولت الخلافة إلى مجموعة نظم صغيرة متفرقة مفسدة للأمة ولا تقوم بالشرع على وفق مراد الله تعالى، فكان من أبرز تلك الإفرازات نشوء جماعات متعددة ذات رؤى مختلفة في سبل تغيير هذا الواقع إصلاحًا وتقويمًا وصولًا للأصل الأول.

فرأى البعض أن التغيير لا يلزم منه التغيير الجذري على اعتبار أن الأمة على درجة من الصلاح وأنها بحالة جيدة، وكذلك الحاكم وأنه يمثل واقعًا جيدًا ولكنه يحتاج للإصلاح دون المجابهة والمواجهة – وربما حصل هذا الاختلاف على جهة التناقض والانفكاك في داخل الجماعة الواحدة لاختلاف بيئة النشوء.

- **الحركة الجهادية وأدبيات التغيير**

الحركة الجهادية كانت أكثر أثرًا لأنها صدمت المفاهيم الكبرى المتعلقة بفقه التكفير ومسائل الإيمان وكذلك مسائل التربية.

أما الحركة الجهادية فقد اختارت المجابهة والصدام، ونشأت معها الجوانب العلمية الخاصة بهذا التيار والتي تسمى بالأدبيات والمتمثلة في تناول مسائل الحاكمية ووصف الحاكم والخروج عليه وكيفية تحقق ذلك وما هي الأحكام المترتبة على الخروج؟ ما هو الفقه الواجب المناسب لهذا الواقع؟.

وكل ذلك لأن الحركة الجهادية اختارت دون غيرها في وقت مبكر الصدام مع هؤلاء الطواغيت.

اليوم يمكن للشاب المعاصر ألا يرى كثير فروق بين الجماعات من حيث النظر إلى الواقع؛ وهذا لم يكن متحققًا قبل خمسين سنة؛ فالبون آنذاك بل وإلى اليوم كبير وآثاره حاضرة موجودة عند تناول قضايا تمس الواقع مثل قضية كفر الحاكم، وكفر الطائفة التي تقوم على حمايته، وكذلك نوع قتاله.

وهذا الحوار موجود حاضر في صفوف الجماعات الإسلامية؛ لكن الحركة الجهادية لخصوصيتها في وصف الواقع سارت مع هذا الوصف ببيان الفقه المترتب على هذا الوصف.

فأنشأت حالة علمية غزيرة لاسيما في القضايا المتعلقة بقضايا الإيمان وما نتج عنه من حوار حول قضايا الإرجاء والوقوف أمام أهل البدع وكل ذلك لنظرة الحركة الجهادية المتعلقة بالواقع لاسيما المتعلقة بالحاكم والطوائف معه والخروج عليه، وما نشأ عنه من بيان حكم فقه الطائفة الممتنعة وغير الممتنعة.

الكلام عن قضية الانتخابات والخلاف حولها وتأصيل مسائل التشريع والحكم بغير ما أنزل الله، كل ذلك من ميراث مكتبة أدبيات الحركة الجهادية.

وعليه فالحركة الجهادية حركة شاملة لأن الفعل الخطير الذي قامت عليه من وجوب تغيير الواقع بحد السلاح والصدام معه أنشأ التغيرات العلمية؛ بل والتغيرات الكونية وبعض الحوادث تدلل على هذا كقضايا اغتيال السادات وأحداث الحادي عشر من سبتمبر وغيرها، كلها أسهمت في تغيرات جذرية في المنطقة؛ وبالتالي فإن الحركة الجهادية كانت أكثر أثرًا لأنها صدمت المفاهيم الكبرى المتعلقة بفقه التكفير ومسائل الإيمان وكذلك التربية.

ثم نشأت على ضفاف ذلك المسائل المتعلقة بالتربية، ونوعية التربية، والنقاش مع الآخرين والحوار وهكذا ..

فأنشأت حياة جديدة ذاخرة بجوانب العلم المتعددة المتكاملة؛ وبالتالي فهي ليست حركة عسكرية فقط، وإن كان كل ما قامت به من روافد علمية وتربوية وسلوكية يصب في قضية الصراع – وإن كان البعض لا يرى إلا هذا الجانب - لأن البعض لا يرى إلا جانب القعقعة والصراخ والإعلام مع قصر نظر للجوانب البنائية الأخرى، مع أنها متوافرة كثيرة غزيرة في البيئة العلمية عند طلبة العلم والمشايخ.

فهل هي ردة فعل؟؟ بلا شك هي كذلك بعد سقوط الخلافة، وردة الفعل هذه ليست غريبة لأنها أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو منشأ الجهاد فحيثما ظهرت بدعة ينبري لها أناس يتصدون لها ويحاصرون انتشارها ويحاربون آثارها بالبيان والإحاطة.

الجماعة الجهادية التي نراها اليوم ليست حالةً خاصةً بل هي ممتدة بامتداد جذورها لكل مجاهد، وكل طوائف الجهاد في أمتنا.

فردة الفعل ليس وصفًا سيئًا يمكن أن تُعيّر به جماعة من الجماعات؛ ولكن بلا شك أنّ الجهاد لا يجوز لنا أن نجعله منبتًّا عن تاريخه فالنبي -ﷺ- يقول: (لا تزال طائفة من أمتي قائمة على الحق) فطائفة الحق هي طائفة علم وجهاد وتربية ودعوة وهي لم تنقطع؛ والجهاد قائم إلى يوم القيامة؛ وعليه فهذه الجماعة الجهادية التي نراها اليوم ليست حالةً خاصةً بل هي ممتدة بامتداد جذورها لكل مجاهد، وكل طوائف الجهاد في أمتنا؛ ولذلك فهي لا تعزل نفسها بأنها انتاج جديد، فإذا قرأت تراثها وأدبياتها تجدها تمدح كل من حمل هذا الأمر على وجهه الصحيح سواء كان بمقاتلة طاغوت داخلي، أو مستعمر محتل خارجي.

ولابد من قراءة المشهد على هذا النحو قراءة تصل بالمتتبع حد التصور الدقيق دون انقطاع عن سابق النشئة ولاحق الانتشار.

وهذه النظرة مطردة مع كل جماعة نشأت فهي ليست حادثة أو منبتة بلا جذور؛ بل لها صلة مع الأمة في جوانب متعددة، بل وتجد سلسلة الحق التي لا تنقطع، وكل جماعة تسعى جاهدةً لمد جسور الصلة مع أصالتها المتمثلة بالأمة وتاريخها دون تميز عنها كنبت جديد، فجماعة الجهاد ترى نفسها امتدادًا لكل طوائف الحق من المجاهدين وأهل العلم وأنها امتداد طبيعي للخلافة التي سقطت؛ **خلافًا لطريقة المبتدعة الذين يقدمون أنفسهم كبناء مستقل عن أمتهم بلا صلة، وأنهم الإبداع الذي حدث على غير مثال سابق.**

الآن ما الذي يدعونا لأن نتكلم عن هذا الموضوع بهذا النوع من التوسع؟؟

للقول بأن رؤية الجماعات الجهادية هي الأقوى مقارنةً بغيرها من الجماعات التي سلكت مسالك السياسة أو الإصلاح أو العلم أو الدعوة؛ على اعتبار أن جميعها قد وصل لطريق مسدود وحائط أملس لا يجدي ولا انفكاك منه لقوة التيار الإفسادي المواجه لمحاولات إصلاحها؛ فهم يصلحون والحاكم بمؤسساته التابعة له تمارس الإفساد الممنهج بشكل أعمق وأكثر تجذرًا في نفوس الناس.

وبالنظر للجماعات السياسية فانتهى مسلكها التغييري بالصراع والانهاك ومن ثمّ الإزالة والإخراج من ساحة التأثير.

وأما الحركات العلمية فهي حركات لا يمكن القول بأنها تحمل رؤية حقيقية في الإصلاح وبالتالي عادت للانتكاسة نحو الداخل على نحو طرائق التصوف من الانكفاء على الذات والعكوف على تحقيق الكتب وهذه مسألة لم تنقطع في أمتنا لنقول بأنها جماعة مبدعة وأتت بمعالجة خاصة للواقع المعاش؛ وغالب حالها أنها جماعات قد احتوت أشخاصًا لهم جهودهم العلمية وهم مشكورون على ذلك ما لم يعتقدوا السبق وحيازة تمام الحق وأنهم يملكون الرؤية الواقعية للتغيير فإنهم يُذمون على هذا الاعتقاد.

وعليه فالجماعات الجهادية برؤيتها الحاضرة أثبتت أنها تملك الرؤية الصحيحة في سبل التغيير المنشود، فما كنّا نقوله قديمًا عن الطواغيت ويستنكر علينا غيرُنا الآن الناس يسبقوننا إلى هذا القول وهذا المعنى لتصبح هذه المعاني الشرعية هي التي تمثل فقه الأكثرية وفي ذلك دلالة على استشرافها الواقعي للواقع وامتلاكها لواقعية الرؤية التي على وفقها بنت أدبياتها وكانت أكثر فهمًا ورسوخًا وثباتًا من غيرها.

❁ الجواب الأول من فضيلة الشيخ يوسف العنابي (حفظه الله):

أقول، وبالله التوفيق: لا أعتقد أن الحركة الجهادية حركة عابرة جاءت نتيجة ردات فعل على الغزو العسكري لبعض بلاد المسلمين، ذلك لأن هذه الحركة المباركة ما هي إلا إمتداد طبيعي جدا لحركة وسير الأمة الإسلامية عبر مختلف المراحل التاريخية التي مرت بها.. فمنذ العهد الأول الذي شيّد فيه الرسول الأكرم -ﷺ- بنيان هذه الأمة الموعودة بالدعوة السلمية والجهاد المسلح، فمنذ ذلك العهد النبوي والأمة ما برحت تعيش الحالة الجهادية بكل تجلياتها وتقلباتها، فهي إما مدافعة عن حياضها، وإما طالبة لعدوها الذي يصدها عن نشر دعوة التوحيد..

ذلك أن الله تعالى حمّل هذه الأمة الراشدة أمانة دعوة هداية الناس إلى صراطه المستقيم، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : 104]، وقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران : 110]، وغير ذلك من الآيات البينات، والأحاديث النبوية التي توضح رسالة الأمة الإسلامية في الوجود..

هذه المهمة الرسالية الخالدة هي التي فرضت على الأمة فرضًا لازمًا أن تكون أمة مجاهدة لتقوم بمهمتها بالبيان والسنان، فلو لم تكن الأمة مجاهدة لما عُبد الله تعالى ولعمّ الفساد وفشا الظلم في الأرض، فإن الخلق يتجاذباه قوتان، قوة الخير وقوة الشر، وجعل الله تعالى قانون المدافعة هو الفيصل بينهما، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة : 251].

وقال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج : 40].

فمن أجل القيام بتلك المهمة الرسالية صارت الأمة الإسلامية منذ نشأتها ذات طبيعة جهادية، لا تنفك عنها أبدًا.

ومن رحم هذه الأمة المجاهدة، خرجت الحركة الجهادية التي حملت على عاتقها مهمة إسعاف الأمة وإنقاذها بعدما أصابها الوهن في الصميم خلال عصور الإنحطاط، وحتى تستأنف الأمة رسالتها في الوجود، من جديد..

فكون الحركة الجهادية تقوم في هذا الزمن بمدافعة عدو الأمة الداخلي والخارجي لا يعني ذلك بحال أنها حركة عابرة، بل هذه حركة متجذرة في الأمة طرأت عليها حالة دفع العدوان، الممارس عليها من طرف الحلف الصهيوصليبي وأذنابه في بلاد المسلمين، فلولا هذه الحالة الطارئة لعادت الأمة بكل مكوناتها إلى خوض معركة الدعوة والفتوحات..

إذا عرفنا أن الحركة الجهادية ليست حركة عابرة بل هي حركة متأصلة تنبع من صميم الطبيعة الرسالية لهذه الأمة، كما سبق ذكره، عرفنا تبعًا لذلك، أنها حركة ذات رؤية استراتيجية واضحة المعالم، لا يشوبها غموض، فهي ترمي إلى استعادة الدور الريادي لهذه الأمة في هذه الحياة، المنصوص عليه في كتاب ربنا عزوجل: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110]، وفي قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

وفي حديث بن عمر – رضي الله عنهما – عن رسول الله – ﷺ –، قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم، وأموالهم، إلا بحق الإسلام،

وحسابهم على الله)، وفي رواية أنس – رضي الله عنه–: (أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن يستقبلوا قبلتنا، وأن يأكلوا ذبيحتنا، وأن يصلوا صلاتنا، فإذا فعلوا ذلك، حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين)، وفي رواية أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال: (أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)..

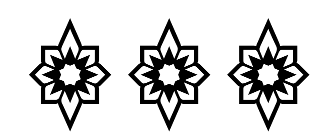
ومما لا شك فيه، أن عودة الأمة الإسلامية إلى سابق عهدها المجيد ليس بالأمر الهين، بل دونه بذل الأنفس والمهج، ولن يصل المصلحون من أبناء هذه الأمة مهما اختلفت مناهجهم في الاصلاح والتغيير إلى تحقيق أهدافهم إلا عبر مراحل وفترات، قد يختلفون في تحديد أولوياتها لكنهم كيفما كانوا وأينما وجدوا سوف يجدون أنفسهم أمام عقبة طواغيت العرب والعجم الذين يصدون عن سبيل الله، ويريدونها عوجًا، قال الله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً...﴾ [النساء : 89]، وقوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة : 120].

فلا محالة من الصدام مع هؤلاء الطواغيت، ولن تستعيد الأمة مجدها، ولن تستأنف حياتها الإسلامية، بل ولن تحافظ عن كيانها وديمومتها في الوجود إلا بالجهاد، فهو روحها وسر وجودها، فإذا ما تخلت عنه ذلت وهانت، بل وماتت وزالت، كالجسد إذا ما فقد الروح مات وزال..

ولن يكون لها ذلك بإذن الله تعالى لأنها أمة جعلها الله تعالى شاهدة على الأمم، ومقام الشهادة هذا يمنعها من الزوال أو الفناء، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة : 143].

وخلاصة القول، أن الحركة الجهادية المعاصرة ليست حركة عابرة، بل هي حركة طبيعية تعبّر بصدق وجلاء عن الحالة الصحية للأمة الإسلامية، المنتفضة على الكفر والشرك والظلم، التي تبتغي إعادة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة، أين سيعود للأمة دورها الريادي في أداء مهمتها الرسالية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[آل عمران: 110].

هذا، ما بدا لي، والله أعلى وأعلم..



❁ **السؤال الثاني: هل فقدت الحركة الجهادية زمام المبادرة وباتت تدور في مساحات عدم التأثير حتى في الساحات الجهادية؟**

❁ الجواب الثاني من فضيلة الشيخ أبي قتادة (حفظه الله):

الحقيقة لا أدري كيف تنشأ هذه الأوهام والظنون؛ وللجواب على هذا السؤال لنرى كيف كانت الحركة الجهادية؟ وكيف صارت؟

فالحركة الجهادية الآن:

أولًا: لم تعد نُخبوية.

ثانيًا: لم تعد محصورة في مكان جغرافي.

ثالثًا: خرجت من كثير من السرية التي كانت تعيشها بسبب الملاحقة.

رابعًا: تعافت الحركة الجهادية من قلة الأعداد.

خامسًا: انتقلت من مرحلة مجرد طرح الأفكار إلى الحالة العملية في كثير من البلاد.

الحركة الجهادية جمرة اشتعال للأمة يقودها طليعة ونخبة

وفي إطار التصور الصحيح لتطور الحالة الجهادية يجب ملاحظة أن المقصود الأساس من حراك الحركة الجهادية منذ الابتداء أن تكون جمرة اشتعال للأمة يقوم بها طليعة ونخبة تصبر وتثبت على بدايات الطريق وتمارس الجهاد واقعًا على الأرض واستثمار الظروف التي يسببها حمق الخصوم، وما ييسره الله من أسباب قدرية بقصد اشعال الأمة في الجهاد – باعتباره المخلص الوحيد من أدران التبعية المقيتة-.

الانتقال بالأمة من الحالة النخبوية الطلائعية إلى حالة التوسع يجعل الحركة الجهادية تمتلك التأثير الأكبر والرؤية الأصوب وامتلاك زمام مبادرة التأثير في كل مواجهة.

الحركة الجهادية في أصلها تؤمن بأنه لا يمكن للجهاد أن يحقق مقاصده في عموم الأمة إلا أن تلتحق به الجموع؛ لكنه لا يمكن أن يقوم إلا من خلال النخبة والطليعة، وهي قضية حاضرة في الأذهان وما يدور الآن من خلاف حول مفهوم النخبة والأمة إنما هو خلاف على الورق وهو من قبيل المناكفات في هذه الوسائل الإعلامية؛ وإلا فالكل متفق على أساس أن النخبة هي أساس القيادة والصراع وهي القاعدة الصلبة التي تلتقي حولها الأمة؛ ولكن لا يمكن للجهاد أن يحقق مقاصده إلا من خلال التحاق الجموع.

هناك قضايا داخلية تحت هذا الإطار يوجد فيها خلاف كالتحولات التي تنشئ ظروفًا مختلفة ينشأ عنها خلاف في الرؤية والفقهي في بعض جوانبها، وهذا شيء طبيعي ناشئ عن حراك طبيعي نتجت عنه كثير من المعالم والأفكار والتغيرات وسيغاير الناس مواقعهم المتصلبة للظروف الجديدة المفروضة من كل الجهات ليلتقوا على ما يمكن الالتقاء به وما هو أقرب لتحقيق الرؤية الشاملة للجميع.

الحالة الجهادية الآن هي الرقم الصعب الذي يلتقي عليه الجميع.

الحركة الجهادية توسعت فهي قبل أفغانستان كانت مجرد أفراد يقرأون داخل البيوت ويتعلمون ويمارسون الجهاد وفق عمليات صغيرة جدًا.

استثمرت الحركة الجهادية الحاضنة الأفغانية والظرف القدري الرباني العظيم فبنت نفسها ونشرت أفكارها ورتبت أوضاعها.

وبعد ذلك فتح الله لهم العراق، والبوسنة، والشيشان، والآن جهاد على مرمى حجر من بيت المقدس.

والحالة الجهادية الآن هي الرقم الصعب الذي يلتقي عليه الجميع وأنه لا سبيل للتغيير إلا بالجهاد، ولا يهم أن يأتي اللاحق ليقول أنا ولادة الجماعة الجهادية السابقة، فالمهم أن تتحقق مقاصد الجهاد وإقامة الخلافة والإمامة في الأمة بإزالة الطواغيت وتحكيم الشريعة وتحقيق العدل وإقامة الأمن لحماية البيضة.

هذه التحولات الكبرى في الحالة الجهادية من حالة النخبة لحالة أكبر من النخبوية واتساع أكثر هي التي ستقمع هذه الأوهام والظنون وتثبت وهنها وضعفها من أن الحركة الجهادية قد فقدت تأثيرها.

فالحركة الجهادية الآن هي أكبر وأعظم بكثير من قبل عشر سنوات، وهي الحالة الوحيدة الآن التي تفرض نفسها على أي حالة في أي حلقة من حلقات الردة وأي موطن من مواطن بلاد الإسلام أو التي تحولت من بلاد أهل الإسلام إلى بلاد ردة بسبب الحاكمين المبدلين لشريعة الرحمن.

لسان الحركة الجهادية: ليت الناس يخوضون غمار التغيير عبر وسيلة الجهاد دون أن ينسب لنا منه شيء.

ثمة مسألة وهي أن البعض يتعامل مع الحالة الجهادية كتنظيم وهذه المفاهيم مغروسة في داخل التنظيمات، وهذا لا يقيم الله له شأنًا وليس هو مثار اعتبار وهي قضايا صراعات نفسية لا يصنع بها التغيير، فالتغيير هو أن ما نريده ينتشر بنا أو بغيرنا، كما قال الشافعي –رحمه الله– :"ليت الناس تعلموا هذا العلم دون أن ينسب لنا منه شيء"، وهذا لسان الحركة الجهادية: "ليت الناس يخوضون غمار التغيير عبر وسيلة الجهاد دون أن ينسب لنا منه شيء"، مع أنّ الأفكار الموجودة في كثير من الساحات الجهادية هي اختيارات مشايخ الجهاد سواء نصبوا هذا الفضل لهم أم لم ينسبوه.

وجب التنبيه على نقطة وهي أن انتشار الحركة الجهادية واتساعها ينشأ عنه مشاكل – ولا أقول أمراض– خاصة ومتعبة وعلينا تحمّل هذا فهذه هي سنة الأقدار تمشي بهذا المعنى.

الجواب الثاني من فضيلة الشيخ يوسف العنابي (حفظه الله):

الحمد لله، وبعد؛

فمن نافلة القول؛ عند الإجابة عن هذا السؤال التذكير بالآتي:

أولا: أن الحركة الجهادية في حالة القوة والضعف والنهوض والركود إنما هي في ذلك تبعًا لحالة الأمة الإسلامية في عمومها، فإذا رأينا أن الحركة الجهادية قد ضعفت فمعنى ذلك؛ أن هناك ضعفا مسّ الأمة، وإذا رأيناها نهضت فالسبب هو نهوض الأمة.. ذلك لأن الحركة الجهادية هي قطعة من جسد الأمة، وحالتها التي تمر بها ما هي إلا تعبير صادق عن الحالة العامة التي تحياها الأمة..

ومعلوم؛ أن الحركة الجهادية حركة بشرية محضة، محكومة بسنن الله الكونيّة التي تسيّر حياة الأفراد والجماعات على حد سواء، من جهة الصحة والاعتلال، أو النهوض والسقوط، أو العلو والسفول، أو التمدد والانكماش، وهكذا..

فلا غرابة إذًا؛ أن تمرض الأمة في مرحلة من مراحل حياتها وتضعف وتفشل وتنهزم حتى، فهذه التقلبات والتحولات طبيعية جدًا في حياة وسير الأمم والجماعات قديمًا وحديثًا..

والأمة الإسلامية وطليعتها الجهادية لا تشكلان استثناءً من هذه الطبيعة البشرية.

إلا أن المميّز في حالة أمتنا أنها لا تلبث طويلًا في مهاوي الهزيمة والانحطاط؛ بل سرعان ما تستفيق وتنتفض لتصير أقوى عزيمة وأشد شكيمة، وسِرّ ذلك أنها أمة تحوي مادة حياتها التي لا تقبل الفناء لأنها متصلة بالله خالقها الحي الذي لا يموت..

ثانيا: من جهة أخرى؛ فلا يخفاكم؛ أن الأمة وطليعتها الجهادية تخوضان منذ سقوط الخلافة حربًا ضروسًا على أكثر من صعيد، ضد أقوى الجيوش والأحلاف العسكرية المعادية للإسلام والمسلمين..

حالفها النصر في بعض الأصعدة وخانها في أصعدة أخرى؛ وهذا ليس غريبًا كذلك، فالأيام دول يوم لك ويوم عليك..

فإن وجدنا الحركة الجهادية قد خسرت بعض المعارك وفقدت زمام المبادرة في بعض الأقاليم، كما هو ملاحظ في القوقاز والمغرب الإسلامي باستثناء ساحة مالي التي تشهد تقدّمًا وتطوّرًا كبيرين..

فقد وجدناها أيضًا ما برحت هي القوة الضاربة وصاحبة التأثير في بعض مناطقها الأخرى، كما هو ظاهر في أفغانستان والصومال وبدرجة أقل في الشام..

جدير بأن نقول؛ أن هذا التقييم أتى على وجه الإجمال والعموم؛ وإلا فإن الحديث عنه بالتفصيل والتدقيق، يجرنا إلى الوقوف على الأسباب المباشرة وغير المباشرة التي جعلت الحركة الجهادية تفقد في بعض الأقاليم بعض مقوماتها في إدارة الحروب التي تخوضها ضد أعدائها.

والحديث عن الأسباب طويل وذو شجون، غير أني لن أتطرق لها هذه المرة لأن المقام لا يتسع لها، لكني سأقف إن شاء الله على أهمها.

في تقديري؛ يمكن تقسيم هذه الأسباب إلى قسمين، قسم ذاتي يتعلق بالحركة الجهادية نفسها، من جهة تكوينها العقدي والعلمي، ومن جهة رؤيتها الإستراتيجية والسياسية، ومن جهة تنظيمها الإداري والهيكلي، ومن جهة أسلوبها التربوي العسكري..

ففي اعتقادي، أن الحركة الجهادية بعد الجهد العظيم التي بذلته طوال السنين التي مضت، فإنه بات من اللازم أن تعيد النظر في جل الأمور الحيوية التي سلف ذكرها، لأن ما كان صالحًا في وقت مضى قد يصير غير صالح في هذا الوقت، ثم طبيعة المعارك والحروب المعاصرة تقتضي المراجعة والتطوير في الفكر والأداء دومًا، وهذا –في ظني– الأمر الذي لم تقم به الحركة الجهادية في سيرها الطويل، فقد ظلت تسير طيلة المراحل السابقة بنفس الأفكار والمناهج ونفس التنظيم الإداري والهيكلي..

وهذا –في تقديري– أكبر خطر يتهدد مستقبل الحركة الجهادية إذا بقت جامدة لا تتطور ولا تتغير..

ولعل أعظم تحدي يواجه الجماعات الجهادية حاليًا هو كيف ترمي بالمعركة التي تخوضها إلى الشعوب والأمة، لتخرج القضية الجهادية بذلك من النطاق النخبوي إلى العمق الشعبي، لأنه إذا لم تتبن الشعوب القضية الجهادية فإن الجماعات الجهادية ستبقى على –أحسن تقدير– تراوح مكانها، أو تسير ببطء شديد إلا أن يشاء الله رب العالمين.

هذا باختصار عن القسم الذاتي، وأما القسم الخارجي، فنلخصه في الفقرة التالية:

والمقصود بالسبب الخارجي هو ما خرج عن مسؤولية الحركة الجهادية، أجمل ذلك في سببين رئيسيين، الأول منهما يتعلق بالطبيعة الاستبدادية التي يتسم بها النظام العالمي القائم حاليا، الذي يرفض بكل قوة وجود ولو قرية صغيرة في أعماق الصحراء خارجة عن منظومته الأيديولوجية، فضلا عن أن تريد هذه القرية أن تعيش تحت ظلّ الشريعة الإسلامية..

هذا عن السبب الأول، وأما الثاني، فهو يتعلق بعدم دخول معظم شرائح المجتمع والأمة في هذه المواجهة المصيرية التي خاضتها الجماعات الجهادية ضد الحملات الصليبية الخارجية وضد حركة الرّدّة والتغريب والتنصير الداخلية على حد سواء، والتي تستهدف مجتمعة الشعوب الإسلامية..

وأخص بالذكر، الفئات العلمية والمثقفة؛ التي نأت بنفسها عن هذه المواجهة، واختارت إما الوقوف موقف الحياد، أي موقف المتفرج الذي ينتظر نتيجة المعركة.. وإما الوقوف في صف العدو، سواء الداخلي أو الخارجي..

رأينا ذلك بوضوح في الحملة الصليبية على أفغانستان وعلى العراق لما وقفت بعض المرجعيات الدينية والشخصيات العلمية البارزة مع الأعداء.. ورأيناها كذلك في الجزائر عندما وقفت بعض الهيئات والشخصيات العلمية مع الحكومة المرتدة وخذلوا المجاهدين..

والأمر الذي يدمي القلب، أن كثيرًا من هذه المواقف المخذّلة صدرت عن بعض المنتسبين إلى التيار الإسلامي سواء ما يسمي الإصلاحي أو التربوي أو العلمي أو السياسي..

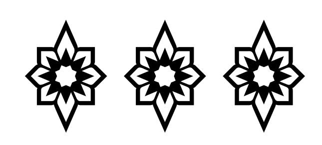
فلو أن التيار الإسلامي بكافة فصائله ومشاربه وقف موقفًا واحدًا من هذه الحملات الصليبية الخارجية، ومن حركات العلمنة والدمقرطة والردة الداخلية التي استهدفت

الشعوب المسلمة في الصميم، لما تراجعت الجماعات الجهادية عن مراكزها المتقدمة التي استطاعت أن تحتلها بعد تضحيات جسام، ولخرجت الأمة من حالة البؤس والانحطاط والتبعية التي سقطت فيها منذ زمن بعيد..

وزبدة القول؛ أن الأمة الإسلامية وطلعيتها المجاهدة حتى وإن مسها الضرّ ونال منها الضعف فإنها لن تموت بإذن الله تعالى، وهي اليوم تلملم جراحها وتحاول أن سترجع قواها، وستعود إن شاء الله إلى سابق عهدها، تبسط الحق والعدل وتنشر السلم والأمن وترفع الغبن عن الناس..

وحادينا على الطريق قول ربنا سبحانه: ﴿وَلاَ تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ القَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلمون فَإِنَّهُم يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلمون وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُون وَكَانَ الله عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء، الآية: 104].

هذا، ماظهر لي، والله أعلى وأعلم..



❁ السؤال الثالث: هل اعتمدت الحركة الجهادية في انطلاقتها على ثوران نفوس الشباب وبركان عواطفهم دون تقييد ولا تأديب، حتى وقع الانفصام بين ما يجب أن يكونوا عليه، وحقيقة ما هم عليه؛ فكانت الحركة الجهادية منبع تصدير للفكر المنحرف ورهق التكفير والتفجير؟

❁ الجواب الثالث من فضيلة الشيخ أبي قتادة (حفظه الله):

الحركة الجهادية نشأت في ظروف متغيرة ومتعددة والكثير منها بل كلها في ظروف صعبة.

أولًا نريد أن نحلل السؤال لأنه كما في الأسئلة السابقة ارتباطات بين قضايا وكأنها تبدو معيبة وهي في الحقيقة ليست كذلك، فمثلًا عندما انطلقت الحركة الجهادية في اعتمادها على العواطف وثوران النفوس وإن كان السؤال في الحقيقة جاء بضابط –دون تقييد– لكن العاطفة كانت مطلوبة وواجبة.

الحركة الجهادية ليست حركة ذهنية وليست حركة علمية فقط أو حركة فكرية فقط، والعاطفة أساس مهم في منطلقاتها.

فالحركة الجهادية ليست حركة ذهنية وليست حركة علمية فقط أو حركة فكرية فقط تغير الأفكار بلا اتزان ولا ميزان، فالحركة الجهادية فيها دماء وهجرة في سبيل الله وفيها ترك لمحبوبات النفس ورغباتها، وفي طريقها دفعٌ لأثمان غالية جدًا من سجون وهجرة وتهجير وقتل وسفك دماء وخراب بيوت، فالحركة الجهادية ليست حركة فكرية يتم التغيير فيها على مستوى الصفحة والورقة والكلمة وينتهي الأمر؛ وبالتالي حاجة هذا الفعل إلى العواطف شيءٌ مقررٌ؛ بل هو الوقود الأول والأخير له.

وفي المقابل فإن الحركة التي تعتمد على العواطف في سبيل التغيير كوقود لها لابد معها من تقنين لتلك العواطف من خلال العلم والقيادة الحكيمة ومن خلال الفقه المكين فهذا لابد منه.

لكن مما لا شك فيه أن جموع الشباب في أغلبها كطوائف لاحقة لا طوائف مؤسسة؛ فالطوائف الجهادية المؤسسة هي طائفة علمية مكثت على الكتب ونظرت في أصول المرض في الأمة كالإرجاء والتصوف والخنوع فنشأت الحركة العلمية التي كانت لبنة الحركة الجهادية وفق هذا التصور وهذا الفقه المتناول لكنّ لحوق الجموع من الشباب فلاشك بأنه تمّ من خلال الصورة والعاطفة، فالجموع التي لحقت بالجهاد الأفغاني كانت فقط تحتاج لكلمة من المجاهدين في أفغانستان.

فهذه الصورة التي كان ينقلها الشيخ الدكتور عبد الله عزام –رحمه الله– للشباب من خلال مجلة الجهاد كانت هي المؤثر الفاعل لهذا النفير الذي حشد الآلاف لأفغانستان.

صورة هذا الألم الذي تعانيه الأمة بسبب إجرام الغزاة لبلاد المسلمين هي التي كانت مصدر تثوير لنفوس الشباب ولازالت الحركة الجهادية حاضنة ولادة بسبب استمرار التحاق الجموع بها بسبب هذه الصورة المنشورة كإصدارات جحيم الروس التي تسلط الضوء على الجهاد الشيشاني والتي ألهبت نفوس الشباب وجعلتهم في أتم الرغبة لمشاركة إخوانهم هذا الجهاد المبارك رغبةً في التغيير.

والآن في فلسطين يلتحق الشباب بالحالة الجهادية الموجودة منشؤه الأول الصورة والعاطفة؛ لذلك لا ينبغي أن نذم العاطفة والحالة النفسية لأنها مهمة جدًا في موضوع الجهاد، فنحن لسنا أمام أفكار مجردة ولا نناقش كتبًا أو أفكارًا تنتهي صراعاتها بكلمة مقابل كلمة أو فكرة مجردة مقابل مثيلها أو ورقة مقابل ورقة؛ فقضية الحركة الجهادية أعمق من ذلك بكثير والتي تعتبر التعبئة النفسية فيها ركيزة من ركائزها بل هي الأهم فيها بعد البناء العلمي والذي يمثل القاعدة الأساس وبقية جزئيات البناء مبناها على العاطفة والبناء النفسي.

الحركة الجهادية ظُلمت حين لم تُعطَ الفرصة والمجال لتشرح للناس عن نفسها، وهي مقموعة ومشايخها مقموعون بالقتل والسجن والإقصاء والمنع.

الآن بعد التحليل السابق لجانب من جوانب السؤال، نأتي لقضية مهمة وهي هل هذا الغلو الذي حدث داخل صف الحالة الجهادية سببه قلة العلم؟

الجواب: نعم.

والحقيقة أنّ قلة العلم داخل صفوف الحالة الجهادية إنما جاء بسبب فُجائية هذا السيل الكبير الذي التحق بالمجاهدين هو الذي سبب هذه الحالة الشاذة والنتوءات المرضية داخل صفوف الحالة الجهادية.

ففي قضية الربيع العربي فجأة سقطت الأنظمة وتحولت كثير من البلاد لحالة جهادية والتحقت جموع كثيرة بتلك الحالة وانتقلوا من صفوف إلى صفوف.

ومع وجود تقييد شديد لمشايخ وقادة الجهاد وظروفهم القهرية، في حين قبل الربيع العربي كانت كثير من البلاد قد فتحت أرضها وفسحت مجالات واسعة لكثير من شيوخ السلفيين وشيوخ الإرجاء ومشايخ التكفير للتنظير والوصول إلى شرائح الناس وتعبئتهم وإملائهم بقضايا جديدة، فحصل هذا الشرخ والبلاء.

وبالتالي هو شيء قدري موجود حاصل في داخلنا وداخل المجتمعات ولا يقتصر على الحالة الجهادية فقط، ومع ذلك فإن الحركة الجهادية ظُلمت حين لم تُعطَ الفرصة والمجال لتشرح للناس عن نفسها، وهي مقموعة ومشايخها مقموعون بالقتل والسجن والإقصاء والمنع؛ فمشايخ الجهاد لم يسمح لهم الوقوف لهذه النتوءات وهذه الأمراض من التكفير والغلو مع سيل الجموع الوافدة للحالة الجهادية الذين لم ينالوا قدرًا كافيًا من التبيان والبيان بسبب المنع والملاحقة والمطاردة والإقصاء من شيوخ الحركة الجهادية وقادتها، والشباب في أكثرهم لم يكونوا على درجة من التأصيل تحجبهم عن مزالق الغلو والتكفير.

والحالة الثانية في قضية التربية أن كثيرًا من الشباب بعدما فُتحت البلاد انتقلوا من حالات السرقة والكذب والقتل والفجور إلى حمل السلاح فحينئذٍ متى سيُربوا هؤلاء؟!

فقه التكفير يحتاج إلى خواص خواص العلماء، لكنّ الخواص ملاحقين ومطاردين، وقد دفعت لأجل ذلك الحركة الجهادية الثمن أكثر من غيرها بكثير.

والسؤال الآن هل هذه الجموع التي تُسمى بالمجاهدة، والتي سلكت طريق الجهاد منذ زمن؛ هي خالية عن العلم؛ الجواب لا، هل هي خالية عن التربية الجواب: لا.

لكنّ حديثنا عن طبقة دنيا جاءت من حالة جاهلية والتحقت بالحالة الجهادية مع قلة الكوادر الحامية، ومع التقييد عليها، وإقصائها وملاحقتها ومطاردتها وتغييبها ومنعها من العلاج والتبيان، فبدأت هذه الجموع من تشكيل نفسها، وبدأ بعض الغلاة من استثمار الظرف ونشأ ما نشأ من المصائب.

ولم يحدث ذلك بسبب الحالة الجهادية ولا بسبب الحركة الجهادية ولا يجوز أبدًا نسبة هذا الظلم إلى الحركة الجهادية.

يمكن أن يُقال أنها أطلقت إطلاقات يفهم منها ذلك؛ لكن تلك الإطلاقات كذلك ليست عيبًا لأنها طبيعة كثير من الحركات، فالشعارات هي شيء ضروري في تكوين الحركات بل هو ضروري في الحياة.

وموضوع التكفير هو من المسائل الخطيرة جدًا ولا يفتي به إلا راسخ عالم وكما قال شيخ الإسلام:" ولا يفتي في الجهاد إلا خواص العلماء" وموضوع التكفير هو أخطر من موضوع الجهاد فيحتاج إلى خواص خواص العلماء، لكنّ الخواص ملاحقين ومطاردين والجموع لا تفهم كلام الخواص، فانبرى لخطير تلك المسائل من لا يحسن، فحدث ما حدث ودفعت الحركة الجهادية الثمن أكثر من غيرها بكثير، مع عموم الناس المظلومين من ضحايا هذا الغلو والتكفير.

ولكن في المقابل أين مشايخ وقيادات التنظيمات الأخرى والتي حصرت دعوتها في التعليم وكانت تدعوا لتعليم الناس؟؟

ولماذا تُحمّل الحركة الجهادية كل توابع الظروف الناشئة، حتى يحمّلها الناس ضرورة الجهاد في سبيل الله، وضرورة إيجاد العلماء المربين، وضرورة إيجاد السياسيين، وضرورة إيجاد كل شيء، مع أنها تعيش في ظروف ليست فقط استثنائية ولكنها قاتلة.

ولا يعني أن نقول أن الحركة الجهادية بريئة تمام البراءة؛ فكلنا متهمون؛ وينبغي توزيع المسئولية بقدر القدرة والإذن؛ ولا يصح القول بأن هذا الذنب تحمله الحركة الجهادية فقط، بل يجب أن يتحمل جموع المشايخ الإثم الأكبر في صناعة الغلو لما يفعلون من جرائم وأوساخ، بالنظر لخطأ أقوالهم وأفعالهم وكثير من اختياراتهم.

فما ينبغي أن يتحمل الجانب الضعيف المسئولية التامة على ذلك، وعلى كل حال فذلك شيء متوقع بسبب تغييب العلماء وقيام الصحوة.

لكن المطمئن في ذلك أن هذا الدين محفوظ، وأن الحق قائم، وأن طائفة الحق ظاهرة بعلمها في كثير من الأوقات –كما يقول ابن حزم رحمه الله: بأن الظهور ظهور علمي، وظهور كوني –بالغلبة– فهي ظاهرة في كل وقت، وهي غالبة قاهرة لظهور البدعة المؤقت – الذي لا يدوم لقيامه على الظلم ومخالفة السنة– قبل إزالتها.

الجواب الثالث من فضيلة الشيخ يوسف العنابي (حفظه الله):

الحمد لله، وبعد:

فمن الخطأ البيّن الحكم على السير العام للحركة الجهادية من خلال بعض التصرفات غير المستقيمة التي يقوم بها بعض المنتسبين لها من حين لآخر، ويعظم هذا الخطأ إذا علمنا أن هؤلاء المنتسبين قلة مغمورة في وسط جمّ غفير ما فتئ ينكر هذه التصرفات المشينة.

إن المتابع المنصف يرى بوضوح تام أن المنهج العلمي والعملي للحركة الجهادية منذ ظهورها منهج مستقيم، قائم على الكتاب والسنة وِفق فهم سلف الأمة، بعيد كل البعد عن الإفراط أو التفريط..

وما يزال قادة وعلماء المجاهدين يدعون إلى الاعتدال والوسطية في القول والعمل، وإلى الرحمة والرفق بالخلق، وينبذون كل مظاهر التنطع والتشدد والغلو والتكفير غير المنضبط بالشرع..

وهو – أعني الدعوة إلى الاعتدال والوسطية – أمر ظاهر لا ينكره المتابعون المنصفون.

فإن شذّت جماعة ما عن الخط العام للحركة، ونبذت منهج الأولين من القادة والعلماء الصالحين فلا يجب أن ينسحب هذا الشذوذ على كامل الحركة، ولا يجوز حينئذ تعميم الحكم بالانحراف والضلال على كافة رموز الحركة وأفرعها، أو رميهم بأشنع التهم كالقول بأنهم هم من أنتج الغلو والتطرف، فهذا تعسفٌ، وظلمٌ عظيمٌ..

ثم؛ أليست ظاهرة الشذوذ عن منهاج وسير الجماعات الأم ظاهرة منتشرة منذ القِدم في كافة المذاهب والنِّحل والملل؟!

أوَلم تكن حتى في الصدر الأول للإسلام حينما شذّت طوائف عديدة عن منهج أهل السنة كالرافضة والناصبة ثم الخوارج وغيرهم كثير..

لكن رغم هذا الانحراف الواسع لم يجرؤ أحد من العلماء المنصفين أن يطعن أو يزدري بالجماعة الأم التي خرجت من رحمها تلك الطوائف الضالة.

فلِم تختل الموازين لما يتعلق الأمر بالحركة الجهادية المعاصرة التي خرج من بطنها حقًا فئات وعناصر مشوّهة فكريًا وسلوكيًا، لم ترض عنهم بل لفظتهم هي نفسها من داخلها وتبرأت من أعمالهم..

فكون هذه الجماعات الضالة نشأت من داخل الحركة لا يلزم منه بتاتا أن تكون الحركة ذاتها منحرفة في أصلها أو أن يكون الانحراف قد طرأ عليها، فصيّرها مدرسة منتجة للانحراف، هذا لا يقول به العقلاء وأهل العدل والإنصاف.

إن الناظر في الأدبيات الشرعية والفكرية للحركة الجهادية يرى دون مواربة مدى صفاء منهجها وخلوه من نوازغ الضلال والانحراف، وهذا واضح لا غبار عليه..

فلم يكن سبب هذا الانحراف الفكري والسلوكي عائدًا للمناهج التعليمية والتربوية التي كانت تعتمدها الحركة الجهادية معاذ الله، وإلا كيف نفسر استقامة الحركة في عموم سيرها الطويل عبر مختلف الأقاليم..

إن سبب هذا الانحراف يرجع إما إلى أفكار ومناهج منحرفة أتى بها دخلاء على الحركة ليسوا من أبنائها البررة الذين رضعوا من أصيل منهجها، نجد ذلك في الفكر التكفيري الغريب على الحركة، الذي بثه وسطها الوافدون التكفيريون من خريجي جماعة الهجرة والتكفير وجماعة الحازميين ومن شاكلهم الذين لا تربطهم بالحركة الجهادية الحقة المستقيمة على النهج السويّ صِلة.

ومع الأسف الشديد؛ وجد هؤلاء الوافدون بغيتهم حين غفل أبناء الحركة الأصليون، فرموا بأفكارهم الضالة وسط شباب حديثي عهد بالالتزام الديني فأضلوهم، والله المستعان.

ومما ساهم في انتشار ظاهرة الغلو والتطرف في وسط الحركة الجهادية؛ هو أن ساحات الحروب عادة ما تكون ميادين خصبة لاحتضان أفكار التشدد والغلو نظرًا للقهر والظلم والغربة والاستضعاف الذي يشعر به المجاهدون، فتنشأ فيهم رغبة جياشة للانتقام من هذا الواقع المؤلم، فإذا لم يجد هؤلاء الشباب المجاهدون من يلجم رغبتهم تلك بالعلم النافع

والإيمان والعمل الصالح ضلوا وزاعوا بل وصاروا أشبه بالعصابات المنحرفة، والمعصوم من عصمه الله، نسأل الله العافية والسلامة لنا ولإخواننا المجاهدين وسائر المسلمين..

وهنا؛ تقع مسؤولية عظمى على الأمراء والقادة والعلماء والشرعيين لتحصين المجاهدين من الزيغ والضلال، وللمحافظة على سلامة منهج الحركة أصيلًا ينبذ الجهل والتنطع والغلو وغيرها من المظاهر الخطيرة الذي قد تطال المجاهدين في حياتهم اليومية.

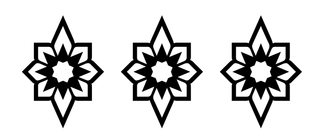
فيجب على القائمين على شؤون المجاهدين أن يعتنوا بهذه الجوانب الخطيرة التي تمس الدين والأخلاق والآداب أكثر من إعتنائهم بالجوانب الحياتية الأخرى..

فيجب تعليم المجاهدين العلم النافع القائم على الكتاب والسنة حسب فهم سلف الأمة، وتربيتهم التربية المستقيمة على منهج الرعيل الأول من القرون الأولى المفضلة، ويجب لأجل ذلك تصدير الثقات من طلبة العلم والشرعيين أصحاب التأهيل العلمي المحترم، المستقيمة أخلاقهم، غير المتنطعين أو المفرطين..

لأن مهمة تنشئة الجيل الجديد الذي سيحمل تكاليف وأعباء الحركة في المرحلة القادمة مهمة عظيمة جدًا تنوء بحملها الراوسي الشامخات، فيجب تأطيرهم جيدًا، وتأهيلهم تأهيلًا علميًا وأخلاقيًا وعسكريًا وإدرايًا ليكفل ذلك لهم حسن إدارة وقيادة الحركة في الحقبة المقبلة التي ستكون لا محالة أشد وأصعب من المراحل السابقة لأجل ما لها من تبعات، والله ولي التوفيق.

هذا؛ وفي الخلاصة، أقول؛ ما كانت بواعث الحركة الجهادية التي قامت في مختلف الأقاليم الإسلامية نابعة عند انطلاقها عن اندفاعات غير مدروسة كما يدعى البعض، بل كانت بواعث في الغالب موضوعية جدًا، اقتضتها الضرورات الشرعية والواقعية والتاريخية، سواء ما تعلق منها بالدفاع المشروع عن الأمة من العدو الخارجي، الذي سعى جاهدًا للاستيلاء على أرضها وتبديل دينها، أو من عدوها الداخلي، المتمثل في طبقة الحكام وأعوانهم، الذين عملوا جادين على تنحية الشريعة الإسلامية وقهر شعوبهم بقوة الحديد والنار..

هذه هي البواعث الحقيقية التي دفعت الحركة الجهادية لخوض غمار الحروب والمعارك مع أعتى القوى الدولية، وليس بسبب ثوران نفوس الشباب وبركان عواطفهم فحسب، كما جاء في سؤال حضرتكم.. هذا، والله أعلم.



۞ السؤال الرابع: برأيكم يا شيخنا؛ أين مراكز القوة في الحركة الجهادية؟

۞ الجواب الرابع من فضيلة الشيخ أبي قتادة (حفظه الله):

خطاب الحركة الجهادية خطاب يلامس الفطرة البشرية وشيوخها قدموا نماذج الاتباع

أول مركز من مراكز القوة هو قوة البناء العلمي في تأصيل سبب وجود هذه الحركة وتكوينها، فقد استطاعت الحركة الجهادية أن تزلزل كثير من المفاهيم الفكرية وحتى العقدية الخاطئة التي اتخذها الخصوم، التأصيل العلمي لقضايا التكفير والحكم بغير ما أنزل الله وما يتعلق بمسائل الإيمان ومعتقد أهل السنة فيها وبيان ما عليه المخالفون لها من المرجئة والغلاة والخوارج.

وقد ثبت أن الخصوم لا يملكون حيال قوة حججها وبيانها إلا التهويش والضرب بأسلحة باردة عقيمة.

ثاني المراكز، منطلقات الحركة الجهادية هي التي تلامس الفطرة الإنسانية، فعند حديثنا عن بلاد كسوريا مثلًا يحكمها طائفة نصيرية تقوم بالجرائم بل كل أنواع الجرائم، فيأتي شيخٌ يدعو لعدم الخروج والقيام على هذا النظام، أو مصالحته، أو القبول والتعامل معه كنظام إسلامي، أو ما تعلم من تنوعات في داخل الرؤى الإسلامية المعلومة في التعامل مع هذا النظام وفق منطلقات بنائية معروفة سواء كانت مبنية على علم، أو مبنية على الحكمة المدعاة، فمن الذي يوافق الفطرة الإنسانية لو خاطبت عقول الناس؟؟

لاشك أن الذي يوافق الفطرة الإنسانية أن ينتصر الناس للحق، وأن ينتصر الناس للمستضعفين.

فالناس يكرهون هذه الطوائف البدعية في عقائدها وتاريخها، ولو سُئل الناس عن طرائق العلاج فإنهم لاشك لا يقبلون التعامل معهم وقبول وجودهم وفق ما يدعوا إليه البعض بالسكوت والصبر وقبول الخنوع لقواعد الحكمة المدعاة.

ولو تأملت خطاب المشايخ المهترئ في قضية التعامل مع الحكام، وقارنته مع خطاب مشايخ الحركة الجهادية لعلمت أن خطاب الحركة الجهادية هو الذي يلامس مكنونات الفطرة في النفس البشرية، من لزوم زوال الظالم، وقهر الغاصب، ودحر العميل، وأن المغاير لعقيدة الأمة لابد من زواله.

وعليه فملامسة الفطرة من أقوى المراكز بعد التأصيل العلمي، فالتأصيل العلمي يضبط خروج الفطرة عن بعض جوانبها لأنها جزؤه فالفطرة تملك علمًا أصيلًا لكنها لا تملك علمًا تفصيليًا قادرًا على دفع الشبه.

ثالث هذه المراكز، القدوة وتقديم والنموذج فالجهاد هو نموذج الفداء وما تعلق الناس بالمجاهدين إلا لتقديمهم النموذج في التضحية والفداء والزهد ومفارقة المحبوبات وهذا شيء محبوب لدى الناس.

فقيادات الحركة الجهادية قدموا النموذج الأمثل في كل ذلك على اعتبار أن طريق الجهاد طريق شاق لا يبقى معه إلا القدوة والأثر ولا حظ للنفس فيه.

وهذا غير حاصل لغير طريق الجهاد من القيادات الصوفية التي اقتاتت على التصوف وسلب الأموال تحت دعاوى الزهد المفضوح، وكذلك الحركات السياسية التي استأثرت بالمناصب لها ولأبنائها من بعد ولم يقدموا النماذج التي تُحب والناس في ذلك تراقب وتحاكم.

فالأمة تحب الإمام الذي يحمل قضاياها ويقدم نفسه فداءً لها، فالحركة الجهادية قدمت هذا النموذج وقدمت قادةً معروف عنهم وعن عائلاتهم الثراء والغنى والمناصب العليا في البلاد ولكنهم زهدوا فيها وتركوها وعاشوا شظف الحياة ومشقتها، وعاينوا الظروف الصعبة وقدموا لذلك أرواحهم واموالهم وأولادهم، وتركوا ديارهم وأوطانهم وارتضوا الهجرة والبعد عنها، فهذه الحالة مثلت أكبر مراكز قوة واستقطاب على اعتبار أن الناس يحبون هذه الصورة وهذا النموذج.

❁ الجواب الرابع من فضيلة الشيخ يوسف العنابي (حفظه الله):

الحمد لله؛ وبعد:

أرى -والله أعلم- أن سرّ قوة الحركة الجهادية الذي سمح لها بالاستمرار والبقاء ثابتة شامخة إلى هذا الوقت رغم شراسة الحملات متعددة الأشكال التي واجهتها طوال الحقب الماضية، يتمثل بالأساس - بعد حفظ الله وتوفيقه لها- في عدالة قضيتها وسمو مبادئها التي مافتئت تناضل من أجلها، هذه القضية العادلة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالحق ﷻ، الذي له الخلق والأمر، الذي خلق العباد وأمرهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، لأجل ذلك بعث الرسل، وأنزل الكتب، وأقام الدلائل الشرعية والكونية على وحدانيته -سبحانه وتعالى-.

فافترق الناس، منهم من آمن ومنهم من كفر، ووقع بينهما التدافع الأبدي، الذي سينتهي بلا أدنى شك إلى انتصار الحق على الباطل، انتصار أصحاب القضية العادلة على المعتدين، الذين اعتدوا على حق الخالق -جل وعلا- في عبادته وحده لا شريك له، فجعلوا له أندادًا باطلة لا تغني من الحق شيئًا، واعتدوا على عباده المؤمنين فأذاقوهم سوء العذاب، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد..

إن الحركة الجهادية المعاصرة تستمد قوتها وعزّتها في معركتها المصيرية من عدالة قضيتها في الحياة، فهي تدافع عن حق الله تعالى في الأمر والنهي، فلا معبود بحق إلا هو سبحانه وتعالى، وإن الشّرك لظلم عظيم.

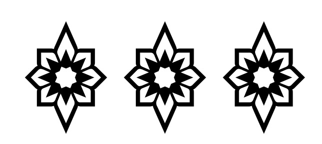
وهي أيضا في هذه المعركة المصيرية تدافع عن أمّة مستضعفة، حرموها حقها في العيش الكريم في كنف شريعة ربها -ﷻ- واستلبوا حريتها، وانتهكوا كرامتها، واستولوا على خيراتها وثرواتها..

وكذلك الحركة الجهادية في صراعها المستمر، هي تدافع عن القيم المثلى والمبادئ السامية في هذه الحياة وتحارب الظلم والفساد الذي عمّ العالم بسبب الشرك والكفر والحكم بغير ما أنزل الله..

ففي تقديري؛ هنا يكمن سرّ قوة الحركة الجهادية، وهذا ما يجب على أبنائها أن يحافظوا عليه، لأنه هو الذي يربطهم بحبل الله الوثيق، وهو السبيل الموصل إلى تحقيق موعود الله تعالى في الأرض، حين يسود التوحيد ويشاع الحكم بالشريعة وينبذ الشرك والكفر والظلم والفساد..

ثمّة مراكز قوّة أخرى تستند إليها الحركة الجهادية في صراعها مع الباطل كالتّركيبة الفتيّة التي تتميّز بها، الأمر الذي أعطاها مجالًا واسعًا جدًا للعمل والنّشاط، وأيضًا عامل الانتشار والتمدد الذي غدت تتسم به الحركة، فهي حاليًا منتشرة في أغلب الأقاليم الإسلامية تقريبًا، نجدها في شبه القارة الهندية ونجدها في عمق العالم الإسلامي في الشام والجزيرة ونجدها في شرق إفريقيا وغربها وشمالها..

وغيرها من العناصر التي تستند إليها الحركة لكن مجموع هذه العناصر لا تبلغ في أهميتها العنصر الأول، الذي سبق ذكره، فهو روح الحركة، ومادّة حياتها، هذا باختصار، والله أعلى وأعلم.



۞ **السؤال الخامس: برأيكم يا شيخنا؛ أين مراكز الضعف في انطلاقة الحركة الجهادية؟**

۞ الجواب الخامس من فضيلة الشيخ أبي قتادة (حفظه الله):

الحركة الجهادية ستعاني الكثير من الهزات كما رأينا سابقًا، وقد تبين أن هناك عوامل هشة داخل الحركة الجهادية بعضها كان اختياريًا، وبعضها قدري لا انفكاك منه.

ولعل المراقب للأوضاع ليبدو له أن الأمة مع موعد مع تغيرات كبرى دولية، تغيرات كبرى مناطقية، تغيرات كبرى إقليمية، تستدعي بناءً قويًا يستوعب هذه التغيرات، والحقيقة أننا لسنا على مستوى هذه التغيرات، وسوف نبني أنفسنا خلالها، والبناء خلال هذه المسيرة سيكون صالحًا إذا كان يمشي بطريقة سهلة وميسورة؛ لكن أن تتم هذه التغيرات الكبرى والتي تحتاج إلى مؤسسات قوية وأجساد صلبة تتلقى هذه التغيرات تلقيًا صحيحًا فهذا صعب غير متصور.

وفي غالب الظن أن التوحش سينتشر وستسقط دول، وستحدث تغيرات كبرى، وستفاجأ الحركة الجهادية بهذه التغيرات ولا يصلح معها ما نحن عليه من الحالة التي نعيشها.

فإذا كانت التغيرات اليسيرة التي حدثت بعد ما يسمى بالربيع العربي قد أنتجت ما نرى من اهتزازات، واختلافات وتغيرات وخصومات، وكيف كنّا وكيف افترقنا، وكيف نتكلم، وكيف نعالج؟؟

فكيف ولو حدثت تغيرات دولية كبرى –وهذا هو المرتقب، وهذا الذي سيقع– فكيف إذا سقطت دول كبرى لها تأثيرات ليست فقط إقليمية وإنما تأثيرات عالمية؛كيف ستتلقى الحركة الجهادية هذه التغيرات الكبرى؟؟

في الحقيقة هذا من الأمور القدرية التي نسأل الله أن يرحم الأمة بها وييسر لها الخير في معالجة هذه الأوضاع الجديدة، وهذا ربما –في نظري– أكبر ما يعترينا؛ فإلى الآن لم نعالج

الكثير من الرؤى، ومازال في داخلنا من يريد أن يأسر الحركة في داخله ورؤاه الخاصة بعيدًا عن سطوة الواقع الذي يُنشأ فقهًا يتلاءم معه، فنحن بحاجة لتعلم تحقيق المناط، بحاجة لتعلم تخريج المناط، كما هي في الأصول ونطبقها على الواقع لكي تتسع مداركنا، والتي أُنشئت تحت ظروف معينة سابقة، وأعتقد أن هذا هو من أكبر عوامل الضعف في الحركة الجهادية، وأتمنى أن ترث الحركة الجهادية التغيرات باعتبار تاريخها، وإن كنت في مرات أضع يدي على قلبي عند النظر للتعامل الساذج الضعيف مع هذه الاهتزازات الجديدة والتحولات الجديدة فأرى الحال كما يقولون:" مكانك راوح "، وهذا خطأ كبير، وهو بريد الاستبدال ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[1] فهذا جانب قدري لا مناص منه ومعه كذلك جانب اختياري عملي متمثلًا بضعف مستوى العلم الذي ينبغي أن نكون عليه، ولا أقصد بذلك من لم يجز مصطلح الحديث، أو الآجرومية، أو غيرها؛ وإنما نتكلم عن علم سنن قيادة الحياة الذي كان عليه الصحابة –رضوان الله عليهم– بمعنى كيف نقود الحياة؟ كيف نتعامل مع الهزات الكبرى؟ كيف نتلاءم مع الأحداث العالمية؟ كيف نستوعب التغيرات الجديدة؟ بحيث نستخدمها كلها من أجل نصرة الدين، وتغيير الواقع، واستخدام كل الأوراق من أجل ضرب الجاهلية، وتحقيق حكم الله في الأرض، وتوحيد الله –عز وجل– في الناس.

بعد هذه المسيرة نحن اكتشفنا أننا بحاجة لعلماء، فقد أثبت الواقع أن ما هو موجود من العلماء ليس كافيًا:

- لا من جهة الكمية، ولا من جهة القَدَر، فنحن بحاجة لجموع من العلماء من أجل أن تشغل هذه الساحات المفتوحة والتي ستفتح بكل ما فيها من مستجدات ونوازل، بالإضافة لكمية العلم التي يحملها كل عالم في تلك الظروف الجديدة المستجدة.

[1] محمد الآية 38.

- كذلك نحن بحاجة لتربية استيعاب الدار الآخرة، حتى لا ننازع تحت الآخرين تحت مظلة الهوى، والمصالح الشخصية وحب الذات ومدحها.

لاشك أن عددًا قليلًا من قيادات الحالة الجهادية فقد فهموا هذه المعاني، وأحدثوا تغيرات كبرى في الأمة، لكننا بحاجة لعدد أكبر في مثل هذه الظروف القادمة.

هذا وأرجو أن أكون قد نصحت لأمتي بهذا، ولا أحمل إلا هم الإصلاح لا هم التبكيت والتنفير.

۞ الجواب الخامس من فضيلة الشيخ يوسف العنابي (حفظه الله):

الحمد لله؛ وبعد:

ينبغي قبل الإجابة عن هذا السؤال، الإشارة إلى أمر مهم، في رأيي، وهو أن حالة الضعف التي تعتري الأفراد والجماعات والأمم، ليست حالة لازمة لا تنفك عن صاحبها؛ بل هي حالة عارضة تحصل بحصول أسبابها وتزول بزوالها.

فالضعف الذي أصاب الأمة الإسلامية في عهودها المتأخرة، والذي انعكس على الحركة الجهادية له أسبابه؛ إذا ما عولجت زال الضعف بل وانقلب إلى قوة..

هذا أمر مهم ينبغي الانتباه إليه؛ أما عن مكامن الضعف في الحركة الجهادية، كما ورد في السؤال، ففي ظني، أن الحركة ما زالت تعاني منذ نشأتها من شكلين من أشكال الضعف، ضعف معنوي وآخر مادي.

وأبدأ بالمعنوي لأهميته..

فأولًا أعني بالضعف المعنوي ما تعلق بالمجالات العلمية والتربوية والتنظيمية، فمعظم الجماعات الجهادية تعاني من نقص شديد في هذه المجالات الحيوية، ففي المجال العلمي بشقيه الديني والدنيوي نجد تدني المستويات العلمية في الوسط الجهادي، نتيجة غياب دورات التعليم ومناهج التدريس، في الغالب.

ويتجلى ذلك في المنتوج العلمي للحركة الجهادية من جهة الكمّ من العلماء، فلم تخرج الحركة على مر السنين الماضية علماء كبار بل هي لا تملك في الوقت الراهن عددًا معتبرًا من الفقهاء والمحدثين والدعاة..

وهنا تجدر الإشارة إلى ملاحظة مهمّة جدًّا؛ وهي أن المنتوج العلمي للحركة الجهادية رغم قلّة عدد علماء التيّار الجهادي مقارنة بباقي التيّارات الإسلامية الأخرى (وذلك نتيجة تكاليف هذا الطريق وصعوبته) إلا أن المنتوج العلمي للتيار الجهادي، إذا ألقيت نظرة يسيرة

على المكتبة الجهادية، يفوق في مجموعهِ كلّ الإنتاج العلمي لكلّ المدارس الإسلاميّة الحركيّة أو التقليدية الأخرى، وهذا الأمر أثبتته دراسة قبل حوالي خمسة سنوات لـ"مؤسسة راند" و"مركز ويست بوينت الأمريكي"، أجروها على "منبر التوحيد والجهاد" كمثال أو مصدر للمكتبة الجهادية..

علاوة على ذلك، الجماعات الجهادية تشكو من نقص كبير في الكفاءات العلمية المتفوقة في شتى التخصصات، كالعلوم الحربية والتكنولوجية والاجتماعية والسياسية والإدارية وغيرها..

كان لهذا النقص الشديد في المجال العلمي أثار سلبية جدًا ظهرت على الأداء العام للحركة على مدار السنين الماضية، فلم تقدر الحركة بسبب ذلك من التأقلم أو التكييف مع التطور العلمي والتكنولوجي الكبير جدًا الذي وصل إليه الأعداء.

هذا الواقع يفرض على القادة والأمراء الإسراع في دراسة هذه الظاهرة السلبية والسعي لوضع برامج التأهيل العلمي؛ ويحصل ذلك بإنشاء المدارس العلمية، وإقامة الدورات التكوينية، والإهتمام بمراكز البحوث والدراسات والإستشارات، ونحو ذلك.

ومن الضروري جدًا في هذا الصدد؛ الاهتمام بشكل خاص بتأهيل الشباب على علوم الإدارة وفنون القيادة، لما لهذه العلوم والفنون من ارتباط وثيق بقيادة الجماعات وإدارة الصراع ومواجهة التحديات، فكلما كانت القيادات ذات كفاءة علمية عالية كان الأداء العام للحركة قوي.

هنا يجدر الإشارة إلى نقطة مهمّة، وهي أن الحركة الجهاديّة في صورة سيطرتها على إقليم أو بلد من بلدان المسلمين فإنّها غير مطالبة بتفريغ كوادرها وطاقاتها في إدارة ذلك البلد، بل ما عليها هو الاستفادة من الطاقات والإدارات الموجودة أصلًا في بلاد المسلمين، وأن تقصر دورها على الإشراف والمراقبة، وتستفيد من تلك الطاقات وتوظّفهم في خدمة مصالح المسلمين، فما يرمي به أعداؤنا من أنّنا غير قادرين على الوصول لمرحلة الدولة، فإنّ نظرتنا

لإقامة الدولة هي مواصلة تفعيل الإدارات في البلدان الإسلاميّة ولكن مع إبعاد أهل الشرّ والفساد فيها وتوسيد الأمر إلى أهله من أهل الخبرة والدراية والأمانة.

أما النقص التربوي، فهو ملاحظ بصورة أوسع في الساحات الجهادية حديثة العهد بالعمل الجهادي، وهو ناتج في الغالب عن عدم قدرة الجماعات الجهادية على استيعاب التدفقات الهائلة من الملتحقين بصفوفها، فلا تستطيع توفير التأطير التربوي المناسب، فتنتشر بسبب ذلك حالات فكرية وسلوكية سيئة للغاية..

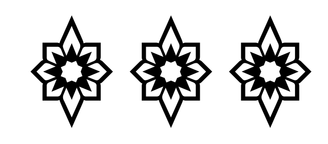
وحتى الساحات العريقة في العمل الجهادي لم تسلم من هذه المظاهر السيئة، ومردّ ذلك في رأيي إلى غياب التأهيل العلمي والتأطير التربوي.

فلا مفر إذًا، من العناية بهذا الموضوع الحساس، لأن الحركة الجهادية -بكل صراحة- لا مستقبل لها إذا لم تهتم بالتأهيل العلمي والتربوي لأبنائها.

أما النقص التنظيمي؛ فأغلب الجماعات الجهادية -في حدود علمي- لا تتوفر على هيكلية تنظيمية واضحة، ولا منظومة إدارية محكمة، بل يؤسفني إذا قلت أن الثقافة الإدارية في الوسط الجهادي على العموم ضعيفة جدًا.

لا ريب؛ أن الظروف القاسية جدًا التي تعمل فيها الجماعات الجهادية عامل أساسيّ في هذا النقص التنظيمي، ولكن رغم ذلك يجب التغلُّب على هذه الظروف الحربية، لأن الفوضى التنظيمية لا تنشِئُ جيشًا ولا تبني أمةً.

خلاصة القول؛ أن الحركة الجهادية إن أرادت حقًا النهوض بالأمة فيجب عليها أولًا أن تطلق نهضة علمية وتربوية داخل صفوفها، والله أعلم.



❁ السؤال السادس: هل ترون شيخنا إحياءً جديدًا قريبًا لمنطلقات الحركة الجهادية وامتلاك زمام مبادرة قُصفت عزمتُها، وخارت قوتُها، وأُحيط بها من كل جانب؟

❁ الجواب السادس من فضيلة الشيخ أبي قتادة (حفظه الله):

العالم يعيش حالة التيه والحالة الجهادية هي الوارثة

السؤال ابتداءً بحاجة لتحليل، وهو يهمني أكثر من الإجابة فقط، فأنا أرى أن الحركة الجهادية مازالت هي القوة الفاعلة في المنطقة ومازالت هي الرقم الصعب، لما تملكه من عمق في داخل الأمة –كما تكلمت في أسباب قوتها وعومل القوة في داخلها– ففي نظري أنه في أي تغير قادم ستكون الحالة الجهادية هي الوارثة، وما نراه الآن من حالة جمود في العالم في كل الاتجاهات سببه مرحلة التيه التي يحياه العالم وارتقابه لأشياء عظيمة قادمة، وعدم الإدراك ما الذي سيكون بعد؟؟

لأنهم أمام أقدار يشعرون بها، كإحساس العربي بالعاصفة، كإحساس العربي برائحة المطر القادم، فالعالم يحس بأن شيئًا عظيمًا قادمًا وهم في حالة حيرة كبيرة معه كيف سيتصرفون؟؟ لأنهم لا يملكون القدرة، فقد العالم القدرة واهترأت نظم الجاهلية وبدأت هياكل الجاهلية بالذوبان والزوال والاهتزاز الشديد.

فالعالم في موقف الحيرة الشديدة والاضطراب، وتصرفاتهم تصرفاتٍ سريعةً ثم لا تلبث أن تتراجع، كأنه قد ذهب عن كل بلد، وعن كل قادة، وعن كل مركز، الرؤية الاستراتيجية التي ترسم لعشر سنوات، ولخمس سنوات، فهذا غير حاصل الآن فالتصرفات لا تدوم شهرًا أو شهرين ثم تنقلب الحالة ويتغير الظرف، مما يدل على أن العالم يعيش حالة تيه، والسبب في ذلك أنهم يرقبون أقدارًا قادمةً.

وعليه فتلك الحالة ما ينبغي أن تُشعرنا بحالة اليأس والتراجع، فهذه الحالة العامة سالفة الذكر هي التي تعيشها الحالة الجهادية فهي لا تعلم الأقدار وترقب تغيرات قادمة، لذلك فهي تشعر بأنها إن لم تتقدم تقدمًا استراتيجيًا كبيرًا، فتقوم بعمليات صغيرة هنا وهناك ولكنها لا تشكل حالة تغيير كلي حتى لأي بؤرة من بؤر الصراع، وإنما تحافظ على مشروعها وتترقب، وهي حالة مفهومة تتلاءم مع الواقع ومع حالة الترقب السائدة، وبالتالي فإن الوراثة بلا شك ستكون للحالة الجهادية، فالحالة الجهادية لم تتراجع بل تتقدم، والسكون الذي تحياه هو سكون كوني عام، ليس لطائفة دون طائفة، ولذلك علينا أن نحضر أنفسنا للحظة التقاط الأنفاس، وتنظيف السلاح، وإعادة ترتيب الأفكار، ودراسة ما تمّ وما يمكن أن يقع، وتحضير أنفسنا لتغيرات عالمية، ينبغي معها سوق الأمة سوقًا قياديًا عظيمًا حتى لا نستبدل.

وعلينا أن نتعامل مع الواقع باعتبار كليته لا باعتبار جزئياته، لأن البعض يريد منا أن ننشغل ببؤر خلافية صغيرة من أفكار خاصة، كالغلو والإرجاء هنا وهناك، فهذه خلافات تحتاج لرد علمي مناسب؛ لكن ما ينبغي أن تشغلنا عن رؤية هذه التحولات الكونية العظمى التي تُنبئ بحدوث وقائع لتنبؤات عظمى ربانية تعلمناها من الكتاب والسنّة.

وفي الختام نسأل الله لشيخنا الأجر والثواب، ولأمتنا اليقظة ولزوم الكتاب، وعزمةً تقودها لتحطيم الجاهلية بحدّ الحراب.

والحمد لله رب العالمين.

۞ الجواب السادس من فضيلة الشيخ يوسف العنابي (حفظه الله):

الحمد لله؛ وبعد:

معلوم أن الفشل النفسي هو الطريق المؤدِّي إلى حدوث الهزائم وذهاب الريح لأنه يصيب صميم الإرادة، التي هي مبدأ الفعل والحركة، فإذا ما فشل المرء انهارت تبعًا لذلك قواه النفسية والجسدية، ولما كان الفشل بهذه المنزلة الخطيرة ورد النهي عنه في قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[سورة الأنفال: 46]..

فلا يجوز إذًا، أن يفشل المسلمون وبالأخص المصلحون فيهم، الساعون لتعبيد الناس لرب العالمين، فمهما عظُمت في أعينهم قوة الأعداء، فلن – وإن اجتمع من بأقطار الأرض – تبلغ قط قوة وعظمة المولى عز وجل، والله مولانا ولا مولى لهم..

إن أتباع الرسل وأصحاب القضايا العادلة لا يفشلون في دفع عادية الباطل، بل يقاومون ويضحون حتى يبلغوا مرادهم..

هذا على وجه العموم، أما فيما يخص الحركة الجهادية المعاصرة فهي علاوة على أنها مؤيدة من الله سبحانه وتعالى لأنها صاحبة الحق، فإنها قد قطعت في سبيل الدفاع عن هذا الحق أشواطًا طويلة، وخاضت لأجله تجارب، واكتسبت خبرات عديدة، فتكوّن لديها من خلال ذلك قدر كبير من المناعة المنهجية والفكرية والتنظيمية، جعلت منها جسمًا عصيًّا لا يقبل الانحلال أو الاندثار – بإذن الله – بل غدا بفضل تلك المناعة قادرًا على الاستمرار في المقاومة لأجيال أخرى..

ضف إلى هذا؛ فإن الكثير من المؤشرات الإقليمية والدولية الراهنة تبشر بالخير والحمد لله، خلاف ما يظن المنهزمون اليائسون، فانظر يرحمك الله إلى حال الشعوب المسلمة، كيف

ارتفع في أواسطها مستوى الوعي الديني والسياسي، وكيف كبرت فيها روح المقاومة والتحدي، فهي اليوم في نهوض دائم واستفاقة مستمرة..

وفي المقابل؛ انظر إلى الضفة الأخرى، إلى حال الحكومات والشعوب غير المسلمة، كيف استحكمت فيها أشد الأزمات الفتاكة، التي ما حلّت بدار قوم إلا أهلكته، أعظمها على الإطلاق انهيار منظومة القِيَم والأخلاق والآداب، التي تُعدّ عند الحكماء والعقلاء على اختلاف مللهم هي روح الأمم والحضارات ومادة حياتها، ثم انظر إلى نظامهم المالي والنقدي والمصرفي والاقتصادي القائم على الرِّبا والاحتكار كيف ينهار، وهو شريان الحياة وقوام الدول قديمًا وحديثًا.

المحصلة؛ إنَّ ما يطلق عليه بـ"النظام الدولي" في أفول وسقوط، وهذا مصداق قول الله تعالى:﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء : 18]،

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ [سورة الرعد: 17].

إن المتأمل في جميع هذه المؤشرات، لا يسعه إلا أن يخرج منها متفائلًا مستبشرًا، بأن مستقبل الأمة الإسلامية وطليعتها المجاهدة سيكون بإذن الله خيرًا وأفضل من حاضرها..

ولكن هنا لابد أن أقف لأشير بأن مستقبل الحركة الجهادية سيصير إن شاء الله زاهرًا إذا ما أخذ القائمون على تدبير شؤون الجهاد والمجاهدين بالأسباب الشرعية والكونية التي جعلها الله تعالى موجبة للنهوض والعلو والسؤدد، والتي ذكرنا بعضها في الأجوبة السابقة، والتي أزيد التأكيد عليها لأهميتها، وهي إعادة التأهيل العلمي والتربوي للمجاهدين عمومًا وللقادة والأمراء والمسؤولين خصوصًا، عن طريق بعث حركة علمية وتربوية واسعة داخل الحركة ترمي إلى معالجة الأخطاء وتصحيح المفاهيم وترقية الكفاءات لخوض معركة الحاضر والمستقبل..

هذا هو المطلوب على الحركة الجهادية أن تقوم به داخل أركانها.

أما المطلوب منها على الصعيد الخارجي، فهو أن تخوض نحو الأمة والشعوب الإسلامية ميادين الدعوة والإرشاد والتعليم والتعبئة بكل أشكالها.. عليها أن تنشر العلوم والمفاهيم الشرعية الصحيحة التي غابت عن أذهان المسلمين في هذا العصر، لا سيما المفاهيم المتعلقة بالتوحيد والعبادة والطاعة والولاء والبراء والأخوة الإسلامية والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الخلافة الراشدة، ونحو ذلك..

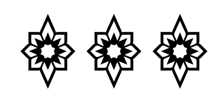
بالموازاة، فإن المرحلة الراهنة تحتاج أكثر من أي وقت مضى إلى نسيان الأحقاد ونبذ الفرقة وترك التنازع والخصومات.. تحتاج إلى صفاء القلوب وإلى التصالح وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف والانفتاح أكثر على الجماعات الإسلامية الأمينة على ميراث النبوة، العاملة في شتى الميادين، فإن ذلك مما يحبه الله ويرضاه، قال الله تعالى :﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [سورة الصف: 4].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة الأنفال: 72]

وقال رسول الله ﷺ: (يد الله مع الجماعة).. ولن يخيب أبدًا من كانت يد الله معه.. والحمد لله.

وفي الختام؛ أشكركم أخي الشيخ نائل جزيل الشكر على أن أتحت لنا هذه الفرصة لنعبّر فيها عن وجهة نظرنا في هذه المسائل والقضايا المهمة جدًا، وما كان في هذه الأجوبة من حق وصواب فهو من توفيق الله وحده تبارك وتعالى، وما كان فيه من أخطاء فهو من أنفسنا والشيطان، وأستغفر الله من كل ذنب وأتوب إليه..

بارك الله فيكم ونفع بكم، وزادكم حرصا وهمة، وجعلنا الله وإياكم من أنصار دينه ودعوته.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الفهرس